﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [الجمعة: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

المـــوتُ الَّـــذي يَـحـذَرُهُ اليهودُ قَـــدْرَ طاقتِهم يَنتظِرُهم على قـارعـةِ طـريـقِ حَيَواتِهم

لمّا تحدَّى الرَّسولُ ﷺ اليهودَ - بأمرِ ربِّه تعالى في الآيتين السّابقتين - بأنْ يتمنَّوا الموت إن كانوا صادقين في دَعْواهم ولايتهم للّه تعالى دون سواهم من النّاس، فجَبُنوا وحاذَروا من الموت؛ لعِلمِهم ما ينتظرُهم من سوء المصير بِكَذِبهم وظُلمهم؛ لمّا تحدّاهم بذلك توعَّدَهم هنا بأنَّ الموتَ الَّذي حاذَروا من أسبابه قدْرَ طاقتهم يَنتظِرُهم قطعًا على قارعةِ طريق حَيَواتِهم كُلًّا على حَسَبِ أجله، وأكَّد لهم أنَّهم لن يُفلتوا منه ألبتَّةَ، وفي ذلك ما فيه من التَّهديد والوعيد؛ لعلَّهم يتوبون ويستقيمون، ولكنْ هيهاتَ لليهود أن يستقيموا على الجادَّة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَفِرُّونَ﴾: الفِرارُ: الهُروب مِن مَحْذورٍ إلى ما يَظُنُّ الفارُّ أنَّه مَكْمَنُ أمانٍ يَلجأ إليه. والفِرارُ: الانْكِشافُ، يُقالُ: فَرَّ يَفِرُّ، والمَفَرُّ المَصْدَرُ. والمَفَرُّ: المَوْضِعُ يُفَرُّ إلَيْهِ. والفَرُّ: القَوْمُ الفارّون. يُقالُ: فَرٌّ جَمْعُ فارٍّ، كَما يُقالُ: صَحْبٌ جَمْعُ صاحِبٍ، وشَرْبٌ جَمْعُ شارِبٍ[1]، وفرَّ إلَيْهِ: لَجأ وأسرَع، قالوا: فرَّ الفارِسُ: أوسَعَ الجَوَلانَ ليَنْعَطِف[2]. فمعنى ﴿تَفِرُّونَ﴾: تهرُبون من أسبابه، وتتحاشَون ملاقاتَهُ.

2) ﴿مُلَٰقِيكُمۡ﴾: لقيَ، يَلقَى، القَ، لِقاءً ولُقيانًا ولُقْيَةً وتِلقاءً، ولقيَ الشّخصَ: صادفه ورآه، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ﴾

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فر).
(2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (فر).

[الكهف: 74]، ولقيَ عدوَّه: قاتله وحاربه، ولاقَى الشَّيءَ أو الأمرَ: وجَدَهُ. فمعنى ﴿مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾: نازلٌ بكم لا محالةَ، ومُصادِفُكم من حيث لا تحتسبون.

3) ﴿تُرَدُّونَ﴾: الرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيء بذاته، أو بحالةٍ من أحواله. يقال: رَدَدْتُهُ فارْتَدَّ، فمِنَ الرَّدِّ بالذّات قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: 28]، ومن الرَّدِّ إلى حالةٍ كان عليها قوله تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ [آل عمران: 149]. ومن هذا الرَّدُّ إلى الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[1].

4) ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: الشَّهدُ بالضَّمِّ والفتح: العَسَلُ ما دام يُعْصَرُ من شَمعِهِ. والشّاهد: الَّذي يخرجُ مع الولد كأنَّه مخاطٌ. وأشهد الغلامُ: أمْذَى وأدرك، وشَهِد المجلسَ: حضره، والشّاهد والشَّهيد: الحاضر، قال تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾ [الزُّخرف: 19]، وبالحضور يُفسَّرُ كلُّ (شهادةٍ) في ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

توعّد من وحي الله تعالى لنبيّه ﷺ بأن يُخبر أولئك اليهودَ بأنَّ الموتَ مُلاقيهم ومقابِلُهم حيثما فرُّوا منه ومن أسبابه، ثمَّ إذا انقَضَتِ الحياةُ الدُّنيا، وقَضَى كلٌّ منهم أجلَه المحدَّدَ له فيها فلا مهربَ لهم ولا مَفرَّ إلّا إلى طريقٍ واحدٍ، هو أنْ يُرَدّوا إلى الله تعالى المحيطِ بكلِّ شيءٍ علمًا؛ فيُفاجِئُهم بعَرْضِ ما كانوا يعتقدون خفاءَهُ عليه تعالى مِن جرائمِهم، ويُجازيهم بها أسوَأ جزاءٍ يستحقّونَهُ.

في الآخرةِ يَتَفاجَأُ الكفّارُ بجرائمَ كانوا يعتقدون خفاءَها عليه تعالى؛ فيُجازيهم بها أسوَأ جزاءٍ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ قولِهِ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ﴾ عمّا سبَقَهُ:

فُصلَتْ جملةُ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾ عن جملةِ ﴿وَلَا

(1) الراغب، المفردات: (رد).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (شهد).

لُحماتُ النَّسَبِ بين المعاني القرآنيَّةِ وثيقةُ التَّرابُط

﴿يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾؛ لِما بينهما من كمالِ الانقطاع، إذ الأولى إخبارٌ، والثّانيةُ وإنْ تضمَّنَتْ معنى الإخبارِ إلّا أنَّها مبدوءةٌ بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾، فهي إنشاءٌ طلبيٌّ بالأمرِ، فلمّا اختلف مَهْيَعُ الكلام فُصِل بينهما.

غيرَ أنَّ مَعْنَيَيْهِما متَّصلان بخيطٍ دلاليٍّ جليٍّ؛ إذ الثّانيةُ تخبرُ عن حَتْميَّةِ الموت الَّذي يهربون منه، والأولى تَخبِرُ عن كراهيتِهم إيّاه وخوفِهم منه بسببِ ما قدَّمَتْ أيديهم، فالمعاني بعضُها مِن بعض، وبين الجملتين اتِّصالٌ معنويٌّ وثيقٌ.

يضاف إلى ذلك أنَّ الثّانية تصريحٌ بما اقتضاه التَّذييلُ في الآية السّابقة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من الوعيدِ، وعدمِ الانفلات من الجزاء على أعمالهم ولو بعدَ زمانِ وقوعها؛ لأنَّ طول الزَّمان لا يُؤثِّرُ في علم الله نسيانًا؛ إذ هو عالمُ الغيب والشَّهادة[1].

دلالةُ إعادةِ الأمرِ ﴿قُلْ﴾:

اللهُ تعالى يُلهِمُ أولياءَهُ أسبابَ النَّصرِ على أعدائِهم

وأُعيدَ فِعلُ الأمرِ ﴿قُلْ﴾ في جملةِ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ بعدَ ذكرِهِ في جملةِ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾؛ لإعادةِ العامِلِ الَّذي في المُبْدَلِ منه في البدلِ، كقوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة: 114]؛ إذ إنَّ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ بدلُ اشتمالٍ من قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

وفي إعادةِ الأمرِ ﴿قُلْ﴾ إضافةً إلى ذلك دَعْمٌ لِرسول الله ﷺ في مَقامِ النُّصرة في الحِجاجِ، بلَفْتِهِ إلى التَّحدّي المشتملِ على التَّهديدِ بالوعيد المنتظَر؛ و"ذلك أنّ اليهود علِموا أنَّهم أفسدوا على أنفسِهم أمرَ الآخرة بتكذيبِهم محمَّدًا ﷺ؛ فكانوا يكرهون الموتَ أشدَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 218.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 218.

الكراهة، فقال الله تعالى لنبيِّهِ ﷺ: قل لهم: إنَّكم وإنْ فَرَرْتُم مِن الموت وكرِهتُموه، فإنَّه لا بُدَّ يَنزل بكم ويَلقاكم، ثمَّ تُردّون بَعدَ الموت إلى عالم الغيب والشَّهادة"[1].

نكتةُ تتابُعِ المؤكِّداتِ في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾:

الموتُ حَتْمٌ لا شكَّ فيه، على الرَّغْمِ مِن ظاهِرِ إنكارِ المُنكِرين

وفي حَشْدِ مُؤكِّداتِ الخبر في جملة ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ مُلاءَمةٌ لحالِ اليهود الَّذي يوحي ظاهرُه بإنكارِهم الموتَ ورجوعَهم إلى الله تعالى، وأنَّهم سيُحاسَبون بظُلمهم وكذبهم وتكذيبهم رسولَ الله ﷺ، وكأنَّهم يعتقدون أنّ منه مهرَبًا يُمكِنُهم الفِرارُ إليه، فـ"أكَّدَ إعلامًا لهم بأنَّه يَلزَمُ من فِعلهم هذا إنكارُ الموتِ الَّذي لا يُنكِرُهُ أحدٌ"[2].

معنى (أل) في ﴿ٱلْمَوْتَ﴾:

تتعدَّدُ الأسبابُ والموتُ واحد

الموتُ: مُفارَقةُ الرّوحِ الجسدَ، لرُجوعِها إلى عالَمِ الغيبِ الَّذي منه أتَتْ، و(أل) في ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ لتعريفِ العهدِ الذِّكريِّ، حيث سبَقَ ذكرُهُ في جملةِ ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، ومع ذلك فيمكنُ أن تكونَ (أل) في ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ استغراقيَّةً، تَستوعِبُ كلَّ صورِ الموت؛ فقد تتعدَّدُ الأسبابُ والموتُ واحد.

لطيفةُ وصفِ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ بالموصولِ وصلتِهِ ﴿ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾:

لا فرارَ مِن الموت

في وصْفِ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ بالاسم الموصول وصِلتِهِ ﴿ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ "زيادةٌ في التَّقريعِ والتَّوبيخ[3] لليهود، وكنايةٌ عن بَلادةِ تفكيرهم، وزيادةٌ في التَّشنيع على سوء مُعتقَدِهم أنَّ مِن الموت فرارًا؛ لأنَّ المؤمنَ الصّالحَ لا يَفِرُّ من الموت، بل يرجو جِوارَ ربِّه ويحبُّ لقاءَهُ، وفي الحديث الشَّريف: أنَّ الرَّسول ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ»[4].

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 296.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 60.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.
(4) البخاري، صحيح البخاري، كِتاب الرِّقاقِ، باب مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ: 5/ 2386، برقم: (6142).

وفي الموصولِ أيضًا تهيئةٌ لِذكرِ جملة الصِّلةِ ﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾، وهي هنا مَناطُ الإزراء، ومُتعلَّقُ الإفشاء؛ لذلك لا يَفي تعبيرٌ بحقِّ المَقامِ كما يَفي الموصولُ وصلته بحقِّه.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفِرار، وإشارةُ صَوغِهِ مضارعًا في جملةِ ﴿تَفِرُّونَ﴾:

ومعنى ﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾: "تَكرَهونه، وتَأْبَون أنْ تتمنَّوهُ"[1]، و"تخافون أن تتمنَّوهُ بلسانِكم؛ مخافةَ أن يصيبَكم، فتُؤخَذوا بأعمالكم"[2]، وإلّا فلا يُمكنُ لأحدٍ أنْ يفرَّ من الموت يهودًا كانوا أم غيرَهم، بل لا يفكِّرُ أحدٌ في الإفلاتِ منه أصلًا، والجميعُ يعلم ذلك، وكلٌّ ينتظرُ دورَهُ فيه.

فرارُ اليهودِ من الموتِ دليلُ علمِهم بمصيرِهمُ الأليم

والتَّعبيرُ بمفردةِ الفِرار تعبيرٌ تصويريٌّ كِنائيٌّ؛ كاشِفٌ عن ثِقَتِهم في صدقِ الرَّسول ﷺ في أنَّ تَمنّيَهم الموتَ يُعجِّلُ بهم إلى العقوبة، فاضِحٌ لِما وراءَهُ من دلائل الظُّلم والإجرام الَّذي قدَّموه لأنفسهم في الآخرة، وإلّا لَتَمَنَّوُا الموتَ ليستريحوا من عَناءِ الدُّنيا، ولم يَفِرّوا منه ويتحاشَوا أسبابَه.

وصوغُ الفعلِ ﴿تَفِرُّونَ﴾ مضارعًا يدلُّ على اجتهادِهم في النَّجاةِ من الموت، وتجديدِهم وتنويعِهم أساليبَ الفرارِ منه، واستمرارِهم على تلك الحالةِ، ولكن هيهات!.

بلاغةُ الاستعارةِ في الفِرارِ من الموت:

الموتُ عندَ اليهود مثلُ السَّبُعِ المُفترسِ المَغيظِ من فريستِه

في قوله تعالى: ﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ في فِعل الفرار؛ حيث "أُطلِق الفِرار على شدَّةِ الحَذَر"[3]، واشتُقَّ منه المضارع ﴿تَفِرُّونَ﴾، وهو يُصَوِّرُ زَوَغان[4] اليهود ورَوَغانهم[5]، وتحاشيَهم أسبابَ لقاء الموت في صورةِ شخصٍ يجتهدُ في الهَرَب

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 636.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 230.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 219.
(4) زاغَ الطريق زَوْغًا وزَيْغاً: عَدَلَ، والزَّيْغُ: المَيْلُ، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: (زوغ، زيغ).
(5) راغ الرَّجُل رَوْغًا ورَوَغانًا: عَدَلَ مُستتِرًا، الصقلي، يُنظر: ابن القطاع، الأفعال: 2/ 73.

ممّا فيه هلاكه، وأنَّ الموتَ عند اليهود مثلُ السَّبُعِ المفترسِ المَغيظِ من فريسته.

ويمكنُ إجراءُ الأمر على الاستعارةِ المكنيَّةِ، بأنْ شبَّهَتِ الآيةُ الموتَ بالسَّبُعِ الفاتكِ الَّذي من شأنه أن يُفَرَّ منه، وفي ذلك التَّصوير مبالغةٌ في بيان خوفِهم مِن الموت، وشدَّةِ حرصهم على الحياة، بل على أدنى حياة، كما قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: 95 - 96].

ووراءَ تلك الاستعارةِ كنايةٌ عن سوءِ ما قدَّموا لأنفسهم في الآخرة مِن أنواع الإجرام؛ فقد ادَّعَوْا أنَّهم أولياءُ للّهِ من دون النّاس، وأنَّ الآخرةَ خالصةٌ لهم من دون النّاس، وأنَّهم شعبُ الله المختار، وحرَّفوا التَّوراةَ، وكذَّبوا بها، وكذَّبوا برسولِ الله ﷺ، إلى غيرِ ذلك من الجرائم الفظيعة الَّتي تجرَّؤوا على اقترافها.

معنى (مِن) في القيدِ ﴿مِنْهُ﴾:

خوفُ اليهودِ من الموتِ باعثٌ على التَّشبُّثِ بالحياة

(مِن) في تقييدِ فرار اليهود بالجارِّ والمجرور ﴿مِنْهُ﴾ ابتدائيَّةٌ؛ أي: أنَّ الحافزَ على فِرارهم الموتُ، وكأنَّه السَّبعُ المُتربِّصُ بهم ليفترسَهم، والمعنى: "تفرّون من الدّاء بالدَّواء؛ فإنَّه مُلاقيكم بانقضاءِ الأجل، أو تفرّون من الجهادِ بالقعودِ؛ فإنَّه مُلاقيكم بالوعيد، أو تفرّون منه بالطّيَرةِ من ذِكره حذرًا من حُلوله؛ فإنَّه ملاقيكم بالكَرهِ والرِّضا، أو تفرّون أن تتمنَّوه حين قال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾"[1]، واللّه تعالى أعلم.

معنى (الفاءِ) في قولِهِ: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ﴾:

الموصولُ كثيرًا ما يُعامَلُ مُعاملةَ الشَّرطِ في اقتضاءِ خبرِهِ الفاءَ

اقترَنَ خبرُ ﴿إِنَّ﴾ بالفاء في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ﴾؛ لأنَّ اسم ﴿إِنَّ﴾ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ نُعِتَ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾، والموصولُ عمومًا كثيرًا ما يُعامَلُ معاملةَ الشَّرط؛ فعومِلَ اسمُ ﴿إِنَّ﴾ المنعوتُ

(1) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 8.

بالموصول معاملةَ نَعْتِه[1]، والمعنى: "إنْ فَرَرتُم منه فإنَّه مُلاقيكم، ويكون مبالغةً في الدَّلالة على أنَّه لا ينفعُ الفرارُ منه، وقيل: إنَّ الكلامَ قد تمَّ عند قوله: تفرّون منه، ثمَّ ابتَدَأ فقال: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾"[2]، و"الموت مُلاقيهم على كلِّ حالٍ - فَرّوا أم لم يفِرّوا - فهذا على جهةِ الرَّدِّ عليهم؛ إذ ظنّوا أنَّ الفرارَ يُنجيهم"[3].

نكتةُ إعادةِ (إنَّ) في جملةِ ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾، ووصوغِ الخبرِ جملةً اسميَّةً:

توكيدُ الخبرِ أو عدمُهُ يكونُ وفْقَ مُقتضى ظاهرِ الحال

(إنَّ) في جملةِ ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ توكيديَّةٌ، تتآزرُ مع اسميَّةِ الجملةِ الأمِّ الكبرى ﴿إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ﴾، ومع اسميَّةِ خبرِها هي ﴿مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ في كونِ الموتِ مُلاقيهِم حتمًا مؤكَّدًا؛ و"أُكِّدَ وقوعُهُ بهم لأنَّ عَمَلَهم عَمَلُ مَن هو مُنكِرٌ له"[4]؛ "وإعادةُ (إنَّ) لزيادة التَّأكيد"[5].

وهناك لطيفةٌ في تكرارِ التَّوكيدِ بـ(إنَّ) ووقوعِ فرارِهم من الموت بينهما، وذلك أنَّ الفرارَ من الموت الصادرَ منهم لمّا وقَعَ بينَ مُؤكِّدَينِ لملاقاتِهم الموت كان ذلك دليلًا على إحاطةِ الموتِ بهم من كلِّ جانب.

بلاغةُ المجازِ في قولِهِ: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾:

المـوتُ يُفاجِئُ الهاربَ منه مِن حيث يَستبعِدُه

قولُهُ تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ مِن اللُّقْيا، والمقصودُ: أنَّ الموت "مِدْرَكُكُم في كلِّ وجهٍ سَلَكتُموه بالظّاهر أو الباطن"[6]، و"موافيكم ومُقابِلٌ لكم حيثما كنتم"[7].

وفي التَّعبير عن نزول الموت بهم بالمُلاقاةِ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّة؛ وكأنَّ الموت إنسانٌ يَنتظِرُهم على قارعةِ الطَّريق، فيَلْقاهم مِن قُدّامِهم، أو كأنَّه يبحثُ عنهم فيُلاقيهم ويَلقاهم وجهًا لوجهٍ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 219.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 269.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 541.
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 219.
(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.
(7) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1414.

"مبالغةً فيما ذُكر، وتعكيسًا للحال"[1]؛ أي: أنَّ الموت يُفاجِئُهم من أمامِهم بينَما هم دابَروه فِرارًا منه.

وفي إسنادِ الملاقاةِ إلى الموتِ مجازٌ عقليٌّ علاقتُهُ السَّببيَّة، إذ الَّذي يلقاهم به ملكُ الموت، فزُحزِحَ اللِّقاءُ مِن إسنادِهِ إلى ملكِ الموت إلى إسنادِهِ إلى الموتِ نفسه تفظيعًا وتفجيعًا لهم.

معنى ﴿ثُمَّ﴾ في جملةِ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾:

و﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ للتَّراخي الرُّتْبيّ؛ إذ "لمّا كان الحبسُ في البرزخِ أمرًا – مع أنَّه لا بدَّ منه – مَهولًا نبَّهَ عليه وعلى طولِهِ بأداةِ التَّراخي فقال: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾"[2].

ما يَنتظِرُ اليهودَ بعدَ الموتِ من العقابِ أفظعُ مِن شدَّةِ الموتِ وسَكَراتِه

و﴿ثُمَّ﴾ توحي بأنَّ ما يَنتظِرُهم هنالِكَ بعدَ الموت عندَ ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ من العذابِ والنَّكال أخطرُ وأفظعُ من مجرَّدِ الموت وشدَّة سَكَراتِه، و﴿ثُمَّ﴾ تُسهِمُ في بيان تَخَوُّفِهم ممّا بعدَ الموت، وأنَّ فِرارَهم ممّا وراءَهُ أشدُّ.

على أنَّ الفرارَ ممّا وراءَ الموت من النَّكال والعذاب لا يكون إلّا بالإيمان الصّادق، وعدمِ ظُلم النّاس واحتقارِهم، واتِّهامِهم في إنسانيَّتِهم وأنَّهم أمّيّون لا قيمةَ لهم، واتِّهامِهم في دينهم بأنَّ اليهودَ هم شعبُ اللّه المختارُ دونَهم، إلى غيرِ ذلك مِن مزاعمَ ساقطةٍ ما أنزَلَ اللّه بها مِن سلطان.

و﴿ثُمَّ﴾ هنا تتَّسِعُ زمانًا لاستيعابِ الحياةِ الدُّنيا كلِّها؛ أي: "ثُمَّ بعدَ الموتِ واستكمالِ الآجالِ يُرَدُّ الخَلْقُ كلُّهم يومَ القيامة إلى عالِمِ الغيب والشَّهادة"[3].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 291.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 863.

دلالةُ التَّعبيرِ بالرَّدِّ، ولطيفةُ صَوغِهِ مُضارعًا مَبْنيًّا للمفعول:

نصَّ أهلُ اللُّغة على أنَّ في الرَّدِّ كراهةً للمردود، بخلافِ الرَّجْع؛ فإنَّه يكونُ عن غيرِ كراهةٍ، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [التَّوبة: 83]، ولا يجوزُ أنْ تردَّهُ إلّا إذا كَرِهتَ حالَهُ[1]، وعلى ذلك فالتَّعبيرُ بالرَّدِّ في قوله تعالى لليهود: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ إنَّما هو عن كراهةٍ لهم ومَقْتٍ لسُلوكِهم، وما قدَّموه لأنفسِهم، والله تعالى أعلم.

اللهُ تعالى يَمقُتُ حالَ اليهود، ويَرُدُّهم إليه للمُجازاةِ مقهورين

وفي صَوغِهِ مضارعًا ﴿تُرَدُّونَ﴾ استحضارٌ لتلك اللَّحظةِ الشَّديدةِ عليهم، وإقامةٌ لها في تصوُّرِهم؛ معالجةً لنُفورِ نُفوسِهم وجُموحِ كبريائِهم الآثِم.

وفي بناءِ الفعل ﴿تُرَدُّونَ﴾ للمفعولِ تنبيهٌ على "القهرِ منه سبحانه، والصَّغار منهم، وأنَّه عنده في غايةِ السُّهولة"[2]؛ أي: أنَّ رَدَّهم إلى عالمِ الغيب والشَّهادة ليُجازيَهم يكونُ على رَغْمِ أُنوفِهم، وبِقَهْرِهم صاغِرين أذِلّاء؛ وذلك بفرارِهم من الموتِ بسوءِ أفعالهم.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ في القيدِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾:

﴿إِلَىٰ﴾ في قيدِ الرَّدِّ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يدلُّ على انتهاءِ الغاية، ويُبيِّنُ أنَّهم لا ملجأَ لهم ولا مهرَبَ من الله تعالى إلّا إليه، وفي ذلك تضييقٌ لآفاقِ الفِرار عليهم، وكَبْحٌ لِجماحِ الظُّلم لَدَيْهم، ولعلَّهم بذلك يثوبون إلى صوابِهم، لكنْ هيهاتَ وقد غلبَتْ عليهم شِقوَتُهم، فأوْغَلوا في الكذب والتَّكذيب والظُّلم والإجرام!.

المصيرُ إلى اللهِ تعالى نهايةُ كلِّ حيّ

دلالةُ التَّعبيرِ بالعِلْمِ في ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾:

التَّعبيرُ بخُصوصِ صفةِ العلم مضافًا إلى ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ دونَ التَّعبير بالاسم

عِلْمُ اللهِ تعالى محيطٌ بما يُخفي عُلَماؤُهم وما يُظهِرون، وسيُجازيهم بذلك

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 249.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.

الجليل (اللّه) - إذ لم يقل: ثُمَّ تُرَدّون إلى اللّه - فيه مَزيدُ ترهيبٍ لليهود؛ فإنَّهم إنْ أمكَنَهم مُخادَعةُ الخلقِ والكذبُ عليهم فلن يُمكِنَهم مخادعةُ عالم الغيب والشَّهادة؛ لأنَّ عِلمَهُ محيطٌ بكلِّ ما غَيَّبوه عن النّاس من التَّوراة، كما هو مُطَّلِعٌ على كلِّ ما بَيَّنوه للنّاس منها ومن أحكامِها، ومِن صفةِ الرَّسول ﷺ فيها.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّه ﷺ هو المُطَّلِعُ على كلِّ ما غابَ عن العباد، "فهو مُخبِرٌ عن أخلاقِكم عن عِلمٍ"[1]، وفي ذلك تهديدٌ بأنَّه يُمكِنُهُ كشفُ ما سَتَرَ مِن عُيوبِهم، ففيهِ إخزاءٌ لهم، وكسْرٌ لكِبْريائِهم.

معنى (أل) في ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَدَةِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَدَةِ﴾ لتعريفِ الجنسِ الاستغراقيِّ؛ أي: أنَّه تعالى عالمُ كلِّ غيبٍ وعالمُ كلِّ شهادةٍ؛ حيث تتعدَّدُ الغُيوبُ وتتعدَّدُ الشَّهاداتُ، بحسبِ تعدُّدِ البشر وتعدُّدِ الأكوان ومُكوّناتها.

اللهُ تعالى عالِمُ كـلِّ غـيـبٍ عن كلِّ أحدٍ، وعالِمُ كلِّ شهادةٍ لكلِّ أحدٍ؛ فكلُّ شيءٍ عندَهُ مكشوف

فما يَغيبُ عن إنسانٍ قد يكونُ شهادةً لغيره، واللّهُ تعالى عالمٌ به، وما يُعَدُّ غَيْبًا عنهم جميعًا فهو معلومٌ عند اللّه تعالى، فلا غَيْبَ بالنِّسبةِ للّهِ ﷻ.

ووجهُ التَّهديدِ فيه: أنَّه تعالى عالمٌ فِرارَهم من الموت، وعالمٌ لِقاءَ الموت إيّاهم، وعالمٌ ما يَنتظِرُهم من عذابٍ في الآخرة.

وفيه دلالةٌ على أنَّه تعالى "عالمٌ ما أشهَدتُمُ الخَلقَ من التَّوراة والإنجيل، وعالمٌ ما غَيَّبتُم عن الخلقِ مِن نعتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وغيرِ ذلك، أو عالمٌ ما غَيَّبتُم في أنفُسِكم وأسرَرتُم من تكذيبِكم بمُحَمَّدٍ ﷺ، وما أشهَدتُم عليه ضَعَفَتَكم وأتباعَكم مِن نَهْيِكم إيّاهم عن اتِّباعه"[2]، وعالمُ "غَيْبِ السَّماواتِ والأرضِ، وما شُهِدَ فظهَرَ لرأْيِ العينِ، ولم يَغِبْ عن أبصارِ النّاظرين"[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.
(2) تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 10.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 636.

نكتةُ تقديمِ علمِ ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ على (الشَّهادةِ):

عِلْمُ اللهِ تعالى بالغَيبِ مثلُ عِلمِهِ تعالى بالشَّهادة

وقَدَّمَ النَّظمُ الكريمُ علمَهُ ﷻ بالغَيْبِ على علمِهِ ﷻ بالشَّهادة؛ معالَجَةً لِما يقعُ في الأوهام؛ مِن أنَّ عِلْمَ الغيبِ أبعدُ في التَّحصيلِ والوقوفِ عليه من عِلمِ الشَّهادة؛ فبَدَأ به النَّظمُ الكريم؛ ليُقرِّرَ استِواءَهما في علمِ اللهِ تعالى بهما.

على أنَّ الشَّهادةَ نفسَها بالنِّسبةِ للبشرِ مُفعَمةٌ بالغيب؛ إذ يشهدُ النّاسُ ظواهرَ الأشياء، وتَظَلُّ بواطنُها وأسرارُها ومصائرُها وما إلى ذلك غَيْبًا عنهم، وهذا كلُّهُ داخلٌ تحتَ معلومِهِ ﷻ؛ فكان ذِكرُ الشَّهادةِ مع الغَيْبِ من بابِ إطلاقِ الإحاطةِ اللَّفظيَّة، واللهُ تعالى أعلم.

بلاغةُ الطِّباقِ بينَ ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ و(الشَّهادة):

الطِّباقُ المعنويُّ في الذِّكرِ الحكيمِ عُنصرُ مُطابَقةٍ لمُقتضى الحالِ، لا مجرَّدُ مُحسِّنٍ شكليّ

جَمَعَ النَّظمُ الكريم (الشَّهادة) إلى ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ ذِكْرًا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لِما في ذلك من الدَّلالةِ على إحاطةِ عِلمِه تعالى وشُمولِه، ولولا هذا الطِّباقُ ما تَحقَّقَتْ تلك الإحاطةُ بذلك الإيجازِ المُؤكَّدِ البديع، فلو ذُكِرَ ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ وحدَه لَدَلَّ على (الشَّهادة) ضِمنًا؛ إذ كلُّ (شَهادةٍ) عندَ أحدٍ هي (غَيْبٌ) عندَ غيرِه، لكنَّ الطِّباقَ قرَّرَ الإحاطةَ، وبيَّنَها، وأكَّدَها.

معنى (الفاءِ) في جملةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾:

رحلةُ الشَّقاءِ الأُخرويِّ بالنِّسبةِ للظّالمين تبدأُ فورَ الموت

(الفاءُ) في قولِهِ تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جملةِ ﴿تُرَدُّونَ﴾، وفي العطفِ بها دلالةٌ على سُرعةِ المجازاةِ، وفَوْرِيَّةِ التَّنبيءِ، وفي التَّعقيبِ إشارةٌ إلى عذابِ القبر، وأنَّ رحلةَ الشَّقاءِ الأُخرويِّ بالنِّسبةِ لليهود تبدأ فورَ الموت.

وإلى ذلك ففَتْرةُ الحياةِ البَرْزخيَّةِ قصيرةٌ بالمقارنةِ بالحياةِ الآخرة مهما طالت الأولى، وعلى ذلك فالفاءُ أيضًا تعقيبيَّةٌ تدلُّ على أنَّ حسابَ الآخرة يَعقُبُ حلولَ الموت.

دلالةُ التَّعبيرِ بالتَّنْبيء، ولطيفةُ المضارَعةِ في (ينبِّئُكم):

يَكشِفُ اللهُ تعالى للمُجرِمين يومَ القيامةِ أسرارًا كانوا يَظنّون أنْ لا أحدَ يَعلمُها سِواهم

النَّبَأُ: نوعٌ معيَّنٌ من الأخبار، وهو الَّذي "يُستعمَلُ فيما كان الأصلُ فيه مجهولًا لأحدِ الطَّرفين"[1]، كما أنَّ حَقَّ الخبرِ الَّذي يقال فيه: (نَبَأٌ) أنْ يَتعرَّى عن الكذب، كالتَّواتُرِ وخبرِ الله تعالى وخبرِ النَّبيِّ ﷺ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: 67 - 68][2].

فقولُهُ تعالى: "﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: "يخبرُكم إخبارًا عظيمًا مُستقصًى مُستوفًى"[3].

وفي التَّعبيرِ بمفردة التَّنبيءِ إضافةً إلى ذلك دلالةٌ على أنَّ الله تعالى سيكشفُ لهم عمّا غاب في أنفسهم وما غاب في أفعالهم وأقوالهم أسرارًا كانوا يظنّون أنْ لا أحدَ يَعلمُها سواهم، فإذا أظهَرَها الله تعالى لهم وفضَحَها عليهم كان ذلك بالنِّسبة لهم نبأً فاجعًا لا خبرًا معتادًا، ولا مجرَّدَ تذكيرٍ بما يعرفون وما كانوا يعلمون.

وفي التَّعبيرِ بالفعلِ المضارع دلالةٌ على تجدُّدِ إنباءِ الله لهم بتجدُّدِ أعمالهم مع قِدَمِ علمِهِ ﷻ بأحوالِهم.

بلاغةُ الكنايةِ عن الجزاءِ بلفظِ التَّنْبيء:

مجرَّدُ التَّنبيءِ بعقوبةِ إجرامِ اليهودِ عقوبةٌ شديدةٌ يحصُلُ بها الوعيد

النَّبأُ يكون عيانًا؛ أي: تَقرَؤونه في كتابكم يومَ القيامة، ويكونُ بالجزاء، إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ[4]، فمعنى ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: فيُجازيكم أيُّها اليهودُ بما أنتم أهلُهُ من العقاب[5]؛ فهو إنباءُ مُعاقِبٍ مُجازٍ بالتَّعذيب[6]؛ فالتَّنبيءُ هنا كنايةٌ عن الحساب، وهو تعريضٌ بالوعيد[7].

---

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نبأ).
(2) الراغب، المفردات: (نبأ).
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 11.
(5) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 481.
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 308.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 219.

وفي إيثارِ فعل التَّنبيءِ في جملة ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ دونَ فعل الإنباء إسهامٌ في الإبانةِ عن شدَّتِهِ وفظاعته، وأنَّ ثِقَلَ اللَّفظِ يُترجِمُ ثِقَلَ النَّبأ، وهذا بدَوْرِه يعكسُ ثِقَلَ العقوبة، وخُطورةَ العذاب.

والَّذي يُخيفُ اليهودَ وكلَّ مجرمٍ هو جزاءُ الإجرام وعقوبتُهُ، لا مجرَّدُ تنبيئِهِ وإخباره به، ومع ذلك اكتفى النَّظمُ الكريم هنا بتنبيئِهم نبَأَهُ لا مُعاقبتِهم ذنْبَهُ، وهذا يدلُّ بطريقِ الكناية على فظاعةِ جُرمِهم، حتّى إنَّ مجرَّدَ التَّنبيءِ به يُعَدُّ عقوبةً شديدةً يحصلُ بها الوعيد، فما الظَّنُّ بالعقوبةِ الحقيقيَّةِ الَّتي تنتظرُهم بعدَ ذلك التَّنبيء؟!.

معنى (الباءِ) في القيدِ ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾:

(الباءُ) في قولِهِ تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ باءُ السَّببية باعتبارِ تضمينِ التَّنبيءِ معنى المُجازاة، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ عدلَ الله تعالى مع المجرمين مطلقٌ، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: 49]، وعليه فلا يُعذِّبُ الله تعالى إلّا بذَنْبٍ وإنْ كان حُرًّا مختارًا فعّالًا لِما يُريد.

لا يُعذِّبُ اللهُ تعالى إلّا بذَنْبٍ وإنْ كان حُرًّا مختارًا فعّالًا لِما يُريد

معنى (ما) في القيدِ ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾:

و(ما) في القيدِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تَحتملُ المصدريَّةَ؛ أي: يُجازيكم بعَمَلِكم الآثِم أيُّها اليهود، كما تَحتملُ الموصوليَّةَ والعائدُ محذوفٌ؛ أي: يُجازيكم بالَّذي كنتُم تعملونه من إجرامٍ وظُلمٍ واستبدادٍ، وجملةُ ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على الوجهين لا محلَّ لها من الإعراب، صلةٌ للموصولِ الحرفيِّ على الوجهِ الأوَّل، والاسميِّ على الوجهِ الثّاني.

(ما) عُنصُرُ إيجازٍ باشتمالِها على معانٍ يَطولُ التَّركيبُ بذكرِها مِن دونِها

كما تحتملُ وجهًا ثالثًا؛ أنْ تكونَ نكرةً موصوفةً، وجملةُ ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ صفةٌ لها في محلِّ جرٍّ، والرّابطُ في جملةِ الصِّفة محذوفٌ، تقديرُهُ: بشيءٍ كنتُم تعملونه. وعلى هذا الوجهِ فـ(ما) مُنكَّرةٌ مِن

حيث المعنى، وفي التَّنكيرِ دلالةٌ على أنَّ اللّه تعالى قد أحصى عليهم كلَّ عملٍ ولو كان حقيرًا في ظَنِّهم.

فلفظةُ (ما) باحتمالِها تلك الدَّلائلَ مُستويةً تكونُ عُنصُرَ إيجازٍ وضغطٍ للمعاني؛ لأنَّها تشتملُ على ما يَطولُ التَّركيبُ بذكرِهِ مِن دونِها.

نكتةُ التَّعبيرِ بالكونِ الماضي في القيدِ ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾:

التَّعبيرُ بالكونِ الماضي في جملةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يُلمِحُ إلى أنَّ تلك الأعمالَ الخسيسةَ قد تأصَّلَتْ فيهم طِباعًا وضيعةً، وأنَّ المعنى: فيُنبِّئكم "بما هو لكم كالجِبِلَّةِ"[1]، وإلى ذلك يوحي فعلُ الكون الماضي بأنَّ تاريخَهم الطَّويلَ المُمْتدَّ أسودُ مُخْزٍ، وذلك يَزيدُهم خِزْيًا إلى خِزْيٍ.

أعمالُ اليهودِ الخسيسةُ قد تأصَّلَتْ فيهم طِباعًا وضيعةً عبرَ تاريخِهم المُخزي كلِّه

كما أنَّ التَّعبيرَ بالكون الماضي في جملةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هو الَّذي هيَّأ الأسلوبَ لِصَوْغِ الخبرِ مُضارِعًا في جملةِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾، والمضارَعةُ فاعِلةٌ في هذا السّياقِ كما سيأتي قريبًا إن شاء اللّه تعالى.

دلالةُ التَّعبيرِ بمُفردةِ العَمَلِ في جملةِ الخبرِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بفعلِ العملِ في قوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دونَ مُفردةِ الفعلِ والصُّنع مَثَلًا؛ لِما في (العمل) من تأثيرٍ واضحٍ في المعمول؛ ولِما فيه مِن إبهامِ النَّتيجةِ بالنِّسبةِ للعامِل، أمّا (الفعلُ) فيكونُ قبلَها مَقدورًا كما يقول أبو هلالٍ[2]، سواءٌ كان عن سببٍ أم لا، و(الصُّنعُ) فيه ترتيبٌ وإحكامٌ؛ فيَقتضي العِلْمَ بما يكونُ، أمّا العملُ فليس فيه هذا ولا ذاك.

اليهودُ يُؤاخَذون بكلِّ أعمالِهم؛ إذ يُعامَلون بعَدْلِ اللهِ تعالى لا بعَفْوِهِ وفضلِه

فإيثارُ التَّعبيرِ بالعمل هنا أبلغُ تهديدًا؛ لأنَّه يَشمَلُ ما صدَرَ عن اليهودِ مِن قولٍ، وفعلٍ، وصُنعٍ، ومَكيدةٍ، وتدبيرٍ وغيرِ ذلك، وأنَّهم

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 61.
(2) معجم الفروق اللغوية ص 321، 377.

يُؤاخَذون بذلك كلِّه، ولا يُعفَون مِن شيءٍ منه؛ إذ يُعامَلون بعَدْلِ الله تعالى، لا بعفوِهِ وفضلِه، والعياذُ بالله تعالى.

دلالةُ صَوغِ الفعلِ في جملةِ ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ مُضارِعًا:

أقـوالُ اليهودِ وأعـمـالُـهـم تُـسـتـحـضَـرُ مـع نـيّـاتِـهـم وعقائدِهم

وصيغةُ المضارعِ في جملةِ ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ تَستحضِرُ لليهودِ لحظاتِ مُمارستِهم أعمالَهم الذَّميمةَ، ممّا ربَّما أفلحوا في إخفائِها عن النّاس، وتُقيمُها أمامَ أعيُنِهم حيَّةً تُخزيهم، حتّى كأنَّهم يُعاينونها؛ فيَتَفاقَمُ عليهم الخَجَلُ والمعاناةُ.

والمُضارعَةُ تعني استحضارَ أعمالِهم بعَرْضِها عليهم على شاشاتِ عرضٍ غيبيَّةٍ أُخرويَّةٍ، قادرةٍ على أنْ تُبديَ بواطنَ نيّاتِهم وعقائدِهم مع ظواهرِ أقوالهم وأعمالهم، ويكونُ ذلك مِن قراءتِهم الَّتي وعَدَ الله تعالى بها في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: 14]، نسألُ الله تعالى السَّترَ لنا ولعباده المؤمنين.

دلالةُ حذفِ مفعولِ ﴿تَعۡمَلُونَ﴾:

أعـمـالُ اليهودِ مـن الـضَّـلالِ والانـحـطـاطِ والخِسَّةِ بمكان

جاءَ فِعلُ العَمَلِ في جملةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ بصورةِ اللّازم؛ إذ لم يُذكَرْ معه مفعولُهُ؛ لدلالةِ (ما) في قولِه: ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ عليه؛ أي: فينبِّئُكم بما كنتم تعملونه في الدُّنيا "مِن الأعمالِ سيِّئِها وحَسَنِها؛ لأنَّه محيطٌ بجميعِها، ثمَّ يُجازيكم على ذلك؛ المحسنَ بإحسانِه، والمسيءَ بما هو أهلُه"[1].

وفي حذفِ ذلك المفعولِ إيحاءٌ بفظاعتِهِ ووضاعتِه؛ وكأنَّ العبارةَ لا تُطيقُه؛ فكان في حذفِهِ تطهيرٌ للسّياقِ من ذِكره؛ لأنَّه مِن الضَّلال والانحطاطِ والخِسَّةِ بمكان، والله تعالى أعلم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرَّدّ والإرجاع:

الرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيءِ بذاته، أو بحالةٍ من أحواله. يقال: رَدَدْتُهُ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 636.

فارْتَدَّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: 147]، فمِنَ الرَّدِّ بالذّاتِ قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]، ومن الرَّدِّ إلى حالةٍ كان عليها قولُه تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 149][1].

الرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيءِ بذاتِهِ أو بحالةٍ من أحوالِهِ، وبكراهةٍ له، أمّا الإرجاعُ فبغيرِها

وفي الرَّدِّ كراهةٌ للمردود، ويجوزُ أن تُرْجِعَهُ من غيرِ كراهةٍ له، فيُعبَّر عنه بالإرجاع، قال الله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [التَّوبة: 83]، ولا يجوزُ أنْ تردَّهُ إلّا إذا كَرِهتَ حالَهُ، ولهذا يُسمّى البَهْرَجُ ردًّا[2]، ولم يُسَمَّ رجْعًا[3].

الإنباء والإخبار والإعلام:

الإنباءُ: الإخبارُ بما فيه عظيمُ الشَّأنِ، ومنه: لهذا الأمرِ نبأٌ، ومنه أُخِذَتْ صفةُ النَّبيِّ؛ لقطعِ شأنِ ما يأتي به مِن الوحي عن الله تعالى[4].

الإنباءُ إخبارٌ بذي شأنٍ، والإخبارُ إظهارُ الخبرِ، والإعلامُ التَّعريضُ، أو وضعُ العِلمِ في القلب

والإعلامُ: التَّعْريضُ لِأنْ يُعلَمَ الشَّيْءُ، وقد يكونُ بخَلْقِ العِلم الضَّروريِّ في القلب، كما خلق الله سبحانه من كمالِ العقل والعلم بالمُشاهَدات، ويكون الإعلامُ بِنَصْبِ الأدلَّةِ على الشَّيء.

والإخبارُ: الإظهارُ للخَبَر علم به أو لم يعلم، ولا يكون اللّهُ مُخبِرًا بِما يُحدِثُهُ من العلم في القلب[5]، كما يكونُ مُعلِمًا بذلك[6].

العمل والفعل والصُّنع:

العملُ: المهنةُ، وإيجادُ الأثرِ في الشَّيء. يقال: فلانٌ يعملُ الطّينَ خَزَفًا، ويعملُ الخوصَ زَنبيلًا، والعملُ يَحتاجُ إلى نيَّةٍ ويطولُ زمانُهُ.

العملُ المهنةُ ولا يقتضي العِلمَ، والصُّنعُ إحكامُ العملِ وتَقْنِيهِ، والفعلُ ما وُجِد في حالٍ كان قبلَها مَقدورًا

(1) الراغب، المفردات: (رد).

(2) "البَهْرَجُ: الرَّديءُ من الدَّراهم، وهو فارسيٌّ مُعرَّبٌ، ورُدُودُ الدَّراهم: ما رُدَّ، واحدُها رَدٌّ، وهو ما زِيْفَ فرُدَّ على ناقدِهِ بعدَما أُخِذَ منه، قال ابن الأعرابيِّ: وكلُّ مردودٍ عندَ العربِ بَهْرَجٌ ونَبَهْرَجٌ"، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: (بهرج)، (ردد).

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 249.

(4) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 1/ 274.

(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 96.

(6) مؤسسة النشر الإسلامي، معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتابَي العسكري والجزائري، ص: 59.

والفعلُ: ما وُجِدَ في حالٍ كان قبلَها مَقدورًا، سواءٌ كان عن سببٍ أم لا، وقد لا يَطولُ زمانُه، ولا يَستلزِمُ وجودَ النيَّة، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96]؛ أي: خلَقَكم وخلَقَ ما تُؤثِّرون فيه بِنَحْتِكُم إيّاه أو صَوْغِكم له[1].

والصُّنْعُ: ترتيبُ العملِ وإحكامُهُ على ما تَقَدَّمَ عِلمٌ به، والعِلمُ بما يوصِلُ إلى المرادِ منه؛ ولذلك قيل للنَّجّار: صانِعٌ، ولا يقال للتّاجِر: صانعٌ؛ لأنَّ النَّجّار قد سبَقَ عِلمُهُ بما يُريدُ عملَهُ مِن سريرٍ أو باب، وسبق علمُهُ بالأسبابِ الَّتي توصِلُ إلى المراد من ذلك، والتّاجرُ لا يَعلَمُ إذا اتَّجَرَ أنَّه يَصِلُ إلى ما يُريدُه مِن الرِّبح أو لا، فالعملُ لا يَقتضي العلمَ بما يَعمَلُ له[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية ص: 377.
(2) العسكري، الفروق اللغوية ص: 321.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"